ملامـح من سيرة الشيخ البكـري الصديقـي

اعداد الباحث

محمد حسن محمد ابراهيم

تحت اشراف

أ.د رأفت غنيمي الشيخ

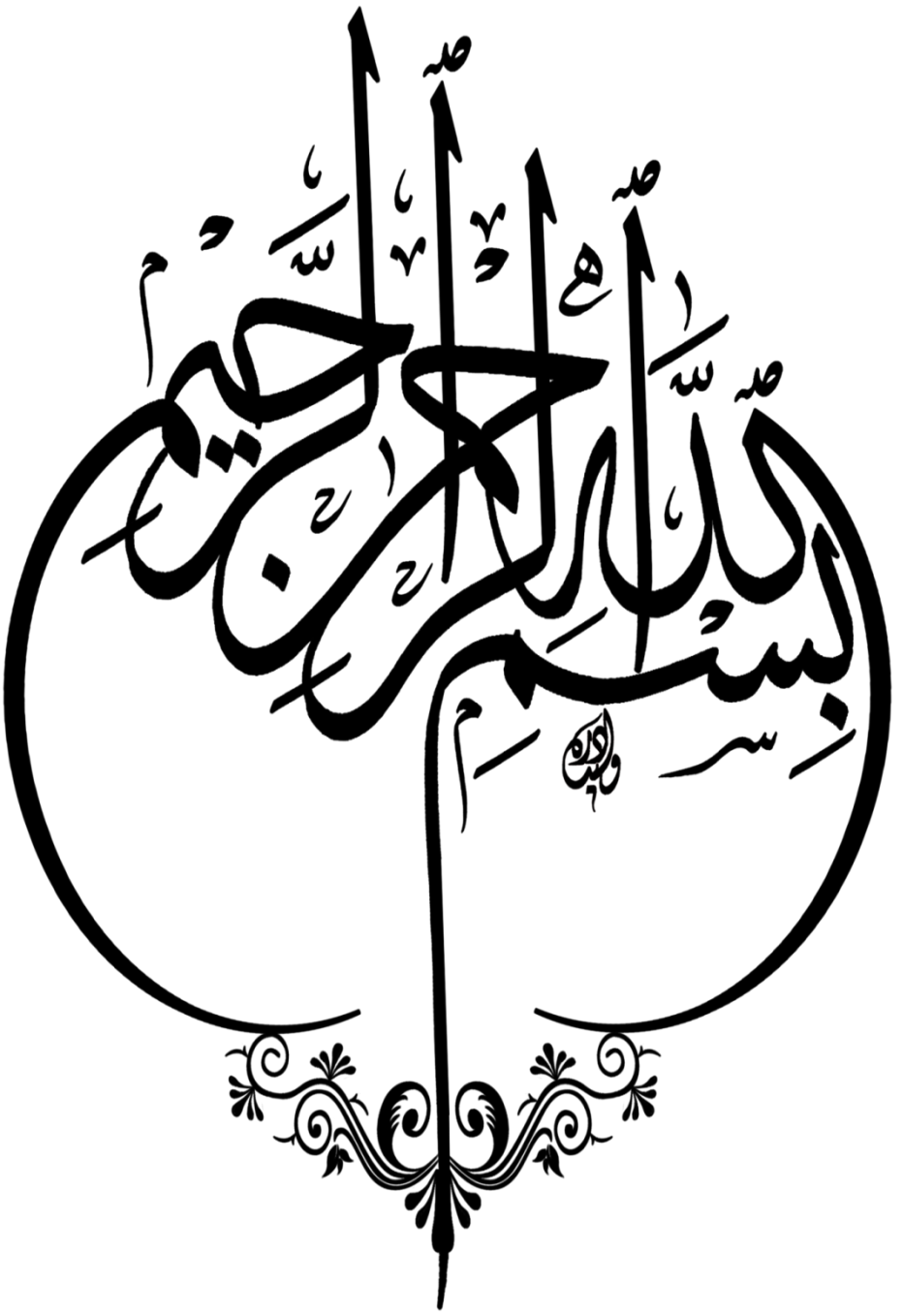
بسم الله الرحمن الرحيم

ملامح من سيرة الشيخ البكري الصديقي الخلوتى قطب الدين [1]

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وإمام المرسلين، نبينا محمد، وعلى آلة وصحابته أجمعين.... وبعد؛؛؛

فأهل العلم هم أهل المنزلة العالية في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}. (سورة المجادلة: الآية ١١) وقد أقرت المخلوقات جميعاً بعلو قدرهم، ورفعتهم، لما لهم من أثر عظيم في حياتهم، وإجلال خالقهم وتعليم الناس أحكامه، يدل على ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث: "وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم ليستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء[2].

إن الاعتناء بتراجم الرجال الأفذاذ، من أصحاب المكانة المرموقة عبر العصور، والتعريف بهم من سمات المجتمعات الناهضة، اعترافاً منها بالذين برزوا في ميادين العلم، وساهموا في رفعة مجتمعاتهم ونهضتها بوسائلهم التربوية، والمعرفية.

فالكثير من هؤلاء الرجال تركوا فيضاً علمياً وتراثاً أدبياً من خلال مراكزهم التعليمية، وزواياهم التربوية التي كانت مراكز إشعاع شكلت بواسطة ناشطها المتعدد عنصراً مهماً في الحياة الثقافية منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادى .

يهدف البحث إلى التعرف إلى إحدى الشخصيات الدينية البارزة في العصر العثماني 27 يوليو1299م حتى 29 أكتوبر1923م ، هي شخصية الشيخ مصطفى البكري

[1] قال الجبرتي "سكن بدار عند قبة المشهد الحسيني وتوفى بها في الثاني عشر من ربيع الثاني ١١٦٢ هـ/ ١٧٤٨م ودفن المجاورين ومولده في اخر المائة بعد الالف بدمشق الشام . الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن (١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ = ١٧٥٤ - ١٨٢٢ م) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي ،طبعه وصححه ورفع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط١،١٤١٧هـ/١٩٩٧م . ج١ ص١٧٥

[2] الراوي: أبو الدرداء المحدث: أبو داود - المصدر: سنن أبي داود - الصفحة أو الرقم: ٣٦٤١ خلاصة حكم المحدث: سكت عنه(وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح).
كما جاء في سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ): الجامع الكبير المعروف بسنن الترمذي المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٨م . ٢٦٨٢

الصديقي الدمشقي المقدسي الخلوتي شيخ مشايخ الطريقة الخلوتية [٣] ورافع ألويتها في العديد من الأقاليم العربية والإسلامية التابعة للخلافة العثمانية، ولا سيما في القدس وفلسطين.

أولا :نسب الصديقي وطبقته الاجتماعية

هو الشيخ محيي الدين أبو محمد(أبو المواهب) [٤] مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محى الدين بن عبد القادر البكري الصديقي الخلوتي الحنفي مذهباً المشهور بالقطب البكري (قطب الدين). تنتهي سلسلة نسبه من ناحية أبيه إلى خليفة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أبو بكر الصديق - رضي الله سبحانه وتعالى عنه - ، ومن ناحية والدته السيدة علما ابنة الحاج محمد المشهور بالموقع إلى علي بن ابى طالب كرم الله وجهه، على النحو التالي ذكره في مخطوطته "الخمرة المحسية في السفرية القدسية":

أبو المعارف، قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيي الدين، بن عبد القادر بن بدر الدين محمد، نزيل دمشق بن ناصر الدين ،محمد شهاب الدين بن ناصر الدين بن بهاء الدين، عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين أبي الروح، عيسى بن داود بن محمد بن نوح ابن الشيخ طلحة، سلطان مدينة النبي صلى الله عليه وسلم بن السيد الإمام أبي محمد عبد الله ابن السيد الإمام المجتهد الصحابي أبي الفضل عبد الرحمن بن الإمام

[٣] أحد الطرق الصوفية السنية نسبة إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي، المتوفى في مصر سنة 986 هـ، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري .والخلوتي. نسبة إلى الخلوة الصوفية. كان من أتباع الطريقة السهروردية وأخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد، ثم استقل بطريقته، وتفرغ لجمع الأتباع وتعليم المريدين. إبراهيم حسني صادق ربايعة: النصيحة السنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية / تأليف مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي (١٠٩٩ - ١١٦٢. رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ص٣٨

[٤] في فهرس الفهارس للكتاني ، طبعة الغرب الإسلامي: (أبو المواهب) بدل (أبو محمد) أنظر الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير: فهرس فهارس الأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق د .إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط ٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الجزء ٢: ص ٢٢٣، ٢٢٤، انظر الصديقي، محمد كمال الدين بن مصطفى البكري: إتحاف الصديق بخلاصة آل الصديق مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٧٨٨/ ١٨٣٣، ص: ٢؛ انظر محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ،دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ،بيروت ، لبنان ، ط٣، 1408هـ - ١٩٨٨ م. ج٤ ، ص٢٠١.

الأعظم، والخليفة الأكرم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه بن عثمان أبي قحافة بن عمرو، وابن عامر بن سعد بن كعب بن قيم بن مرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥]."

وتذكر كتب التراجم أن خليل بن أسعد البكري (ت. ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م)[٦] قد تولى الإفتاء في دمشق سنة 1135هـ / ١٧٢٢م ، وقاد ثورة ضد الوالي عثمان باشا أبو طوق (سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م)[٧]، وانتهت بتولية إسماعيل باشا العظم واليًا على دمشق (في عام ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م) [٨] ثم برز بعد ذلك صاحب هذه الترجمة الشيخ مصطفى البكري الصديقي باعتباره واحداً من أكبر المشايخ والمفكرين الذين كان لهم دوراً كبيراً في نشر الطريقة الخلوتية وشيوعها في العديد من الأقطار العربية والإسلامية.[٩]

بقي الصديقي ينتقل في العالم الإسلامي داعياً لنشر طريقته، حتى استقر به المقام في مصر، وتوفي في القاهرة في بيته القريب من المسجد الحسيني القريب من الجامع الأزهر في الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ١١٦٢هـ، الموافق الثامن من أبريل سنة ١٧٤٩م، عن عمر يناهز السابعة والستين عاما،

---

[٥] مجموع رحلات البكري، الصديقي: محيي الدين أبو محمد مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري (ت ١١٦٢ه/ ١٧٤٩م). الخمرة الحسية في الرحلة القدسية، مخطوطة المدينة المنورة، مكتبة عارف حكمت، رقم (٣٨٤٠)، ومنها نسخة مصورة محفوظة في مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة القدس ، رقم ٥٦٣.وأنظر ترجمته بخط ولده، محمد كمال الدين بن مصطفى البكري الصديقي في: إتحاف الصديق بخلاصة آل الصديق، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٧٨٨/ ١٨٣٣، ص: ٢-٣ ، البكري الصديقي، مخطوطة الخمرة الحسية في الرحلة القدسية.

[٦] أحد ابناء عائلة آل البكري الذى ينتمى اليها الشيخ الصديقي أسرة لها فروعها في الحجاز، ومصر واسطنبول، ودمشق. ويذكر أبي الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ) في كتابه سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ان" أسعد بن أحمد بن كمال الدين وتقدم ذكر والده الصديقي الحنفي الدمشقي الرئيس الفاضل الهمام المقدام الكامل البارع الألمعي كان صدر أعيان دمشق وواحدهم ممن تسامى وعلا واشتهر ذكره وشاع صيته من ذوي المفاخر والمحامد الرؤساء الأجلاء مقبول الشفاعة عند الحكام معتبرا موقرا لدى الخاص والعام وبالجملة ففضائله ومحامده تكاثرت واشتهرت في وقته مع الجاه العريض والرفعة والشأن والسمو للمعالي ولد بدمشق تقريبا في سنة ثلاث وستين وألف وبها نشأ وترقى ومهر وتفوق وابتهجت به الأوقات وازدان به الدهر وأينع روض سعوده وبسق غصنا يترنح في خميلة السيادة والسعادة تؤمن الوفود وتقصده الأفاضل والمداح". أبو الفضل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ،مصدر سبق ذكره ج ١ ص ٢٢٠.

[٧] والى الشام لمرتين وهذه ولايته الاولى١١٣٢-١١٣٤هـ/ ١٧١٩-١٧٢١م كان كثير المظالم وابتزاز المال اشتبك مع جند دمشق وفى ولايته الثانية ثارت عليه دمشق فعُزل. محمد مكي الخانقاه: حوادث حمص اليومية (من سنة ١١٠٠/١٦٨٨ إلى سنة ١١٣٥/١٧٢٢) ، دار المنهل ،بيروت، لبنان ،١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م ص ٣٢٢

[٨] هو سياسي عثماني سوري، كان واليًا لدمشق وأميرًا للحج بين عامي ١٧٢٥ و١٧٣٠، ثم واليًا على كريت عامي ١٧٣١ و١٧٣٢. رسخ مركز آل العظم ونفوذهم السياسي، فعُين عدة أفراد منهم فيما بعد ولاة لدمشق وطرابلس وصيدا.
Barbir, Karl K. (1980). Ottoman Rule in Damascus, 1708–1758. Princeton University Press.p59

[٩] ابن كنان، محمد بن عيسى بن محمود: المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١ ،١٩٩٢م، ص ٧٦، البكري الصديقي الدمشقي الخلوتي: مخطوط برء الأسقام في زيارة برزة والمقام، دراسة وتحقيق. د .غالب عنابسة، دار الفكر، عمان ، ٢٠٠٩م، ص: ٥.
Rafeq، A.K: The Province of Damascus 1723- 1783، Beirut، 1966، p 97.

وتم الدفن في مقبرة المجاورين [10] خارج مدينة القاهرة، هي إحدى خمس مقابر كبيرة معروفة بالقرافة الكبرى .[11]

ويذكر يوسف النبهاني (ت.١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)[12] في كتابه "جامع كرامات الأولياء" بخصوص وفاته نقلا عن تلميذه القطب (الأستاذ) الحفني[13]:

" ثم حج مولانا السيد الصديقي عام إحدى وستين وعاد من الحجاز إلى القاهرة فمرض عقب دخوله مدة شهر، فحان مولد السيد البدوي[14]، فأراد الشيخ أستاذنا الحفني أن يتخلف عن الذهاب إليه لأجل السيد، فأشار إليه بعدم التخلف، فتوجه أستاذنا إلى المولد الشريف، فتوفي السيد الصديقي في ليلة المولد ..... ودفن وقبره ثم مشهور ثم بزيارته تضاعف الأجور، وقد عمل له أستاذي في شهر شعبان من هذا العام مولدا عظيما شدت إليه الرحال"[15]

- **انشغاله بالعلم**

وقد نشأ الشيخ مصطفى البكري منذ نعومة أظفاره نشأة علمية، واشتغل بطلب العلم بدمشق، فنجده يواظب على مجالس العلم وحلقات العلماء، ويقرأ على أشهر مشايخ

---

[10] مقابر العائلة الملكية أو مقابر الخاصة الملكية أو مقابر أسرة محمد علي باشا أو مدافن أفندينا أو قبة أفندينا أو ضريح الخديوي توفيق بمقابر المجاورين بمنطقة منشية ناصر بالقاهرة، هي مجموعة مدافن تعود للأسرة الملكية العلوية. جريدة الأهرام – المقابر الملكية.

[11] انظر تفاصيل أكثر عن وفاته في: محمد كمال الدين بن مصطفى البكري الصديقي، إتحاف الصديق بخلاصة آل الصِّديق، مخطوط منه نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية، تحت رقم ١٧٨٨ / ١٨٣٣، ص: ٩، يوسف النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ٢: ٤٧٢. وذكر إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين أنه توفي في دمشق وهو خطأ، لأن العديد ممن ترجموا للشيخ أكدوا أن وفاته في القاهرة، وأن مقامه موجود يُزار حتى اليوم في القرافة الكبرى. اما ابن الزيات يذكر في كتابه، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، أن القرافة الكبرى تقسم الى ثلاث جهات الاولى النقعة الصغرى والمشاهد والنقعة الكبرى، والثانية جهة الإمام ورش والمصيني والعثمانية وسنا وثناء والثالثة جهة الجبل وغيره. قارن: عبد المنعم الحفني، الموسوعة الصوفية، القاهرة ،٢٠٠٣، ص٨٢-٨٣.

[12] يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني، القاضي الفقيه الصوفي، والشاعر الأديب، المكثر من مدائح رسول الله محمد تأليفاً ونقلاً وروايةً وإنشاءً وتدويناً . يوسف بن إسماعيل النبهاني :جامع كرامات الأولياء، تحقيق محمود المسوتى ، دار التقوى للطباعة والنشر والتوزيع مقدمة المحقق، ص٣.

[13] ثامن شيوخ الأزهر الشريف من عام 1171 هـ إلى 1181 هـ .موقع دار الإفتاء المصرية

[14] يقصد الشيخ صاحب الكرامات احمد البدوي أكبر أولياء مصر (ت. ١٢٧٦م)، انظر: مادة احمد البدوي في م.ت.هوتسما – ت.و.أرنولد – ر.باسيت – ر.هارتمان: موجزدائرة المعارف الاسلامية، المترجم: إبراهيم زكي خورشيد – أحمد الشنتناوي – عبد الحميد يونس – حسن حبشي – عبد الرحمن الشيخ – محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات، ١٩٩٨م.

[15] يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٢م، ج٢، ص٤٧٤.

عصره، فقد أخذ الفقه والحديث والقراءات بطرق متعددة كالسماع [١٦] والقراءة والعرض والمناولة [١٧] والكتابة [١٨] .ولقد أخذ مصطفى البكري علومه الأولى عن كبار علماء عصره من فقهاء، وعلماء، ومؤرخين.

وحين بلغ ستة عشر عامًا وجد في نفسه ميلاً للنسك والتصوف، وصل نقطة التحول في حياته أنه أخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي الخلوتي (١١٢١هـ/١٧٠٩م)[١٩] وكان هذا في سنة ١١١٥ه/ ١٧٠٣م .[٢٠] حيث لقنه الأسماء، وعرفه حقيقة الفرق بين الاسم والمسمى، وكان اخذه الطريقة الخلوتية نقطة تحول حياته وذكر الجبرتى عن نشأته في بيت المقدس وعن أخلاقه وعند قيام الشيخ عبد اللطيف الحلبى بترتيبه وتعليمه حتى اخذ عنه المبايعة والخلافة من بعده ،حيث ذكر:" نشأ ببيت المقدس على أكرم الأخلاق وأكملها، ربّاه شيخه عبد اللطيف الحلبي، وغذّاه بلبان أهل المعرفة والتحقيق، ففاق ذلك الفرع الأصل، وظهرت به في أفق الوجود، فبرع فهماً وعلماً" واشتغل بالأوراد والأذكار، وداوم على العبادة والذكر في الخلوات، ولا سيما في خلوة البادرائية [٢١]بدمشق حتى سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م، حيث أذن له شيخه الحلبي إذنا عاما بالمبايعة والتخليف[٢٢].

---

[١٦] السماع هو سماع لفظ الشيخ من حفظ أو من كتاب، وهو من أرفع الأقسام أنظر، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط١، ١٣٧٩هـ.

[١٧] المناولة ضربان: مقرونة بالإجازة، ومن صورها أن يدفع الشيخ إلى الطالب أصل سماعه له ويقول له: «هذا سماعي أو روايتي عن فلان فاروه، أو أجزت له روايته عني ثم يبقيه معه تمليكا أو لينسخه» والمجردة أن يناوله مقتصراً على قوله: « هذا سماعي »، فلا تجوز بها الرواية على الصحيح الذي قاله الفقهاء وأصحاب الأصول، الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٢م ، ص: ٤٦٦؛ د. عبد الجليل عبد المهدي: المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، مكتبة الأقصى، عمان ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٣٩.

[١٨] هي أن يكتب الشيخ مسموعه لحاضر أو غائب بخطه أو بأمره وهي ضربان مجردة من الإجازة، ومقرونة بإجازتك ما كتبت، أو إليك ونحوه من عبارات الإجازة، انظر السيوطي، تدريب الراوي ، ص: ٢٧٩، د. عبد الجليل عبد المهدي، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ج١، ص ١٣٩

[١٩] سيدى العارف بالله تعالى عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبى الخلوتى، الأستاذ المرشد المسلك العارف الكامل الأوحد الناسك، نزيل دمشق، كان في طريق القوم ممن اشتهر وساد، ولد في حلب وإليها نسب وتقع حلب فى دولة سوريا حاليًا، كان والده صالحا إلى الخير يسابق.
http://www.almasheikh.com/Regal_Altaswif

[٢٠] المرادي : سلك الدرر، ج ٤، ص ١٩٠.

[٢١] تقعُ المدرسة البادرائية بدمشق بمحلَّة العمارة الجوَّانية، إلى الشَّمال الشرقي من الجامع الأموي، قرب حمَّام سامي، وتسمَّى الحارة الآن باسمِها، فيقال حارة البادرائية. أحمد قتيبة الشهابى: معالم دمشق التاريخية، دراسة تاريخية ولغوية عن أحيائها ومواقعها القديمة، تراثها وأصولها واشتقاق أسمائها ،وزارة الثقافة ،دمشق، ١٩٩٦م ص ٧٢

[٢٢] الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والاخبار، ج ١، ص ٤٢٦.

تلاميذه:

وسرعان ما حظي الشيخ بشهرة واسعة لتواضعه وسعة علمه، وكريم خصاله، تودد وتقرب اليه أرباب السلطة ، لكنه ابتعد عن أبواب الحكام، وأحجم عن التزلف إلى أصحاب المناصب والنفوذ، واعتذر عن قبول المناصب الرسمية، فقد مكث قرابة سنة كاملة في الآستانة[٢٣] لم يتردد فيها على مسؤول. وكان إذا عرف واشتهر في مكان ما ذهب إلى غيره، وقد عرضت عليه السلطات العثمانية منصب (قطبانية الشرق)[٢٤]، فرفضها وعزف عنها[٢٥] مؤثراً التفرغ للتأليف والتصنيف والدعوة والذكر .[٢٦]

مؤلفاته:

كتب الصديقي رسائل وكتباً عدة في موضوعات شتى : فقهية وصوفية وأدبية، وألف إضافة إلى ذلك اثنتي عشرة مقامة[٢٧] واثنتي عشرة رحلة، ونظم سبعة دواوين شعرية، وألفية في التصوف، وتسع أراجيز في علوم الطريقة، وأكثر من اثني عشر ألف بيت من الشعر خارجة عن دواوينه، ووضع أكثر من رسالة في ترجمة شيوخه ومريديه.[٢٨]

---

[٢٣] عاصمة تركيا القديمة هي كلمة فارسية من معانيها "العاصمة" أو "مركز السَّلْطَنة" وفي عام1453 ، انهارت دولة الإمبراطورية البيزنطية وفتح العثمانيون المسلمون المدينة بقيادة السلطان محمد الثاني الفاتح، الذي جعلها عاصمةً للدولة وغيّر اسمها إلى" إسلامبول"، أي "مدينة الإسلام" أو "تخت الإسلام".
محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العليّة العثمانية تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، ط١٠، 1427هـ - ٢٠٠٦ م ص١٦٤

[٢٤] الاقاليم سبعة كما هو مشهور ولكل واحد منهم قطب . مصطفى الصديقي الخلوتي الدمشقي: الرحلة العراقية (عام ١١٣٩ هـ/١٧٢٦ م) كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،٢٠١٢م ص٧٩

[٢٥] الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والاخبار، ج ١، ص ٢٤٧.

[٢٦] طرفا من أخبار الصديقي في المرادي، سلك الدرر، ٤: ١٩١-١٩٨، البكري، اتحاف الصديق بخلاصة آل الصديق، مخطوط، ص:١-١١، كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، المحقق: عبد الحليم النجار و رمضان عبد التواب، دار المعارف، ١٩٧٧م، ج ٨، ص ٣٠١-٣٠٦؛ الكتاني: فهرس الفهارس ، ج٢: ٢٢٣-٢٢٤، الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ١: ٢٤٦، يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٢: ٤٧١، عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦١م ١٢: ٢٧١ .

[٢٧] وجد في مكتبة المتحف العراقي ببغداد مجموع يضم ست مقامات للبكري الصديقي تحت رقم ٦٢٠٨ ، ويقع المجموع في ٦٤٩ صفحة، وتصف كل مقامة بلدا مثل: اليمن ومصر والجزائر والهند والعراق وبلاد الشام وفلسطين وبلاد المغرب، والمجموع من شيوخ في حياة مؤلفه، نسخة خادمه سلامة سنة (١١٥١ه -١٥٣٨م)، وعليها مقابلة . إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين /أسماء المؤلفين وآثار المصنفين دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢ ، ص٤٧٧ ، أسامة النقشبندي: مخطوطات الأدب في المتحف العراقي ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت، ١٩٨٥م ، ص : ٦٠٠.

[٢٨] المرادي :سلك الدرر، ج٤، ص ١٩٥.

وغالبية هذا النتاج الوفير الذي بلغ -حسب قول المرادي في سلك الدرر مائتين واثنين وعشرين مؤلفاً ما بين مجلد وكراستين[٢٩]، وما بين مائتين مؤلف حسب قول الجبرتي والشيخ حسن شمه[٣٠]، ومائة حسب قول حسن الحسيني[٣١] - ما زال مخطوطاً لم يطبع منه سوى عدد محدود من الرسائل، وهو موزع بين العديد من المكتبات العربية والأجنبية.

وأورد المرادي وبروكلمان قائمة طويلة من مؤلفاته ورسائله أثبت بعضها رضا كحالة في معجم المؤلفين، والزركلي في الأعلام. وفيما يأتي ثبت بهذه المصنفات والرسائل، وقد اعتمدت في جمعها على ما ورد في هذه المصادر، كما ذكرت ما أتيح لي الطلاع عليه في المخطوطات المحفوظة في بعض المكتبات، أو فهارسها، ولا سيما مكتبة مركز الأبحاث الإسلامية ، والمكتبة البديرية في القدس الشريف ، ومكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة عبد الله بن عباس بالطائف، ومكتبة المتحف العراقي وغيرها[٣٢].

وجدير بالذكر أن للشيخ مصطفى الصديقي منظومة طريفة اسمها: (نفح نسائم الأسحار بفحيح جسايم الأسحار) ، وهي محفوظة في المكتبة البديرية تحت رقم ، (أدب عربي ٢٩١/٩٣)، وتقع في أربع وثلاثين ورقة ، وقد سجل ناظمها في هوامشها أسماء مؤلفاته وتاريخ تأليفها[٣٣] كما أن له رسالة أخرى ذكرها المرادي بعنوان: (عوارف الجواد التي لم يطرقهن طارق) ، وفيها ترجمة ذاتية ذكر فيها حاله ووقائعه ، وأهم الأحداث التي مرت به، وقد ذكرت في سلك الدرر للمرادي[٣٤]، ولكنها لم ترد عند غيره.

---

[٢٩] نفس المصدر ج٤، ص ١٩٥.

[٣٠] الجبرتي: عجائب الآثار ١: ٢٤٧؛ وانظر النبهاني: جامع كرامات الأولياء ، ج ٢، ص ٤٧٤.

[٣١] الحسيني، حسن عبد اللطيف: تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق سلامة النعيمات ، عمان: ١٩٨٥م. ص١٠٣

[٣٢] حسن السلوادى: الشيخ مصطفى البكري الصديقي الدمشقي المقدسي الخلوتي (١٠٩٩ - ١١٦٢ هـ) (١٦٨٨ - ١٧٤٩ م) : حياته وآثاره، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد ١٨، ديسمبر ،٢٠١٠م.

[٣٣] خضر سلامة: فهرس مخطوطات المكتبة البديرية (مكتبة الشيخ محمد بن حبيش المقدسي: إدارة الأوقاف القدس، ١٩٨٧م)ج ٢، ص ٥٤٢.

[٣٤] المرادي : سلك الدرر ، ج ٢، ص ١٩٧ .

وتظهر مؤلفات الصديقي ورسائله أنه كان موسوعياً، ويتسم بثقافة خصبة وشاملة استوعبت معارف عصره مع غلبة الطابع الديني الصوفي العرفاني على هذه المصنفات، وقد وصفه المرادي بقوله: "مشتغل بالتأليف وألف مؤلفات نافعة"[٣٥] ونوَّه به النبهاني قائلاً: "ومن أعظم كراماته: كثرة مؤلفاته نظماً ونثراً، مع اشتغاله بالطريق، والأسفار في الأقطار، وانواع العبادات والاجتماعات مع الناس"[٣٦]، واذا دققنا النظر في مصنفاته، فسنجد أنها شملت علوماً شرعية في الفقه والتفسير والحديث والتصوف، إضافة الى العلوم اللغوية والأدب العربي، وكتب التراجم والرحلات.

أسباب رحلات الصديقي:

ذكر المرادي منها اثنتي عشرة رحلة، كان الهدف الرئيسي نشر طريقته الخلوتية وجمع المريدين حوله:

عُرف الصديقي بكثرة ترحاله وتطوافه في الأمصار والبلدان، فكان لا يكاد يستقر به المقام في بلد حتى يغادره إلى آخر، وتعزى هذه الظاهرة إلى الاسباب التالية:

١. اختلافه مع بني عمومته، ولا سيما عمه محمد البكري الذي وعده أن يزوجه ابنته، ولكنه نكث بوعده، ورفض طلبه بعد مماطلة استغرقت وقتاً طويلاً، مما شجعه على الترحال والاستقرار في بلد آخر، فارتحل إلى بيت المقدس حيث تزوج فيها من فتاة مقدسية، وكان زواجه دافعاً للاستقرار في المدينة المقدسة[٣٧].

٢. اندماجه في الطريقة الخلوتية، وتفرغه لها، وقد اقتضى منه ذلك التجوال وزيارة العديد من الأمصار(مصر دمشق العراق...) لضم الأتباع والمريدين الذين بلغ عددهم – حسب ما ذكر ابنه محمد كمال الدين – أكثر من مائة ألف .[٣٨]

---

[٣٥] نفس المصدر ، ج ٢، ص ١٩٧ .

[٣٦] نفس المصدر: ، ج ٤، ص ١٩١-١٩٥.

[٣٧] حسن السلوادى: الشيخ مصطفى البكري الصديقي، ص١٨.

[٣٨] البكري، محمد كمال الدين بن مصطفى إتحاف الصديق بخلاصة آل الصدِّيق، ص:٦.

٣. تشجيع الدولة العثمانية الرسمي للتصوف واهتمامها بمشايخه، حيث كان أرباب السلطة يتوجهون لزعماء الحركة الصوفية ومشايخها، ويدعونهم لزيارتهم، أو يصطحبونهم إلى عاصمة الخلافة أو عواصم الأقاليم، كما فعل الوزير رجب جميل بيك - والي دمشق- الذي اصطحب الصديقي معه إلى القاهرة سنة ١١٣٣ه /١٧٢٠م ، وكذلك زيارته إلى الآستانة التي جرت بدعوة من السلطة العثمانية ، بدليل أنه حظر عليه العودة، ولم يغادرها إلا بعد حصوله على اذن بالمغادرة بوساطة من صديقه وشيخه محمد التافلاتي المغربي[٣٩] الذي كان مقيماً في الآستانة .[٤٠]

٤. أما العامل الرابع، ولعله أهمها، فرغبته في طلب العلم والتزود من المعرفة، فقد ارتحل مرارا لمقابلة العديد من شيوخه في مكة المكرمة، المدينة المنورة، القاهرة، الآستانة، ومن علماء الأمصار الذين أخذ عنهم وقرأ عليهم: الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي بمكة المكرمة[٤١]، والشيخ علي قرة باش في أدرنه[٤٢]، الشيخ محمد التافلاتي في الآستانة ، الشيخ محمد بن أحمد الحلبي المكتبي في حلب[٤٣]،الشيخ نجم الدين بن خير الدين الرملي في الرملة في

---

[٣٩] نزيل القدس، ولد بالمغرب، ودرس بالجامع الازهر، ثم قدم الى القدس وسكن بها سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٨م فقيه ومحدث وشاعر وحافظ للقران الكريم أحمد حسين عبد الجبوري: القدس في العهد العثماني (١٦٤٠ - ١٧٩٩ م): دراسة سياسية، عسكرية، إدارية ، دار المنهل، بيروت، لبنان ، ٢٠١١م ص٣٣٨

[٤٠] لمزيد من التفصيل انظر الجبرتي، عجائب الآثار ٢٤٧:١، وقد سوغ الجبرتي كثرة تنقل البكري بين البلدان بقوله: «ورحل إلى جلّ الأقطار لبلوغ أجلّ الأوطار، كما دأب على ذلك السلف، لما فيه من اكتساب المعاني والشرف، المصدر نفسه ١: ٢٤٦.

[٤١] أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري. أبو عبد الرحمن السلمي : طبقات الصوفية ، كتاب الشعب ، العدد ٩٢، ١٩٦٠ م ص٣١٢-٣١٤

[٤٢] العارف بالأسرار اللاهوتية، جامع الحقائق الإنسانية، رئيس الأولياء وسند الأصفياء، إمام العارفين، همام المرشدين، مَنّ الله عليه بالكشف الأسمى، وزاده الله فى العقل والجسم شيخ الإنس والجن، شيخنا الأجل العارف بالله تعالى القطب الجلي سيدى السيد علاء الدين المعروف بالأطول(أى طويل الجسم، أو طويل الباع فى الطريق) الشهير بقره باش ولى أى أسمر العمامة أو أسمر الرأس، لأن فى لسان الترك قره: أسود، وباش: الرأس، فيكون أسود الرأس، وقال بعض علماء الأتراك: أن هذا اللقب لقبوه به أعداءه.

http://www.almasheikh.com/Regal_Altaswif

[٤٣] ولد في حلب، ونشأ فيها، في أسرة علم وفضل، فقد كان والده وجده من العلماء، وقد حضرا سنين طويلة على الشيخ العلامة الصالح الفقيه الشيخ أحمد الترمانيني، الأزهري، مفتي الشافعية بحلب

. ابو الفضل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ج١ ص٢٠١.

فلسطين[٤٤]، الشيخ مصطفى الأدرنوي[٤٥] في القاهرة، الشيخ إسماعيل العجلوني[٤٦]، وعثمان بن الشمعة[٤٧] وغيرهما في مدينة دمشق.

٥. أما عن رحلاته، فقد شملت عشرات المدن والقرى في ربوع الشام ومصر والعراق وديار بكر وبلاد الروم[٤٨] ، ومن المدن التي أقام فيها فترات طويلة بيت المقدس، نابلس ،دمشق ،حلب ،طرابلس الشام ،بغداد ،الآستانة ،القاهرة وغزة، وكان له في بعضها -على ما يبدو- أملاكاً وعمائر مثل بيت المقدس ،القاهرة وغزة ، فقد ذكر في سجلات المحكمة الشرعية أنه كان يملك بالشراء مبنى الزاوية الوفائية[٤٩]، (دار معاوية) في القدس الشريف، وأنه قام بعمارة الخلوة التحتانية وقد بيعت الدار بعد وفاته من طرف ورثته للشيخ محمد بن بدير المقدسي المعروف بابن حبيش (من أجداد العائلة البديرية)، وذكر الجبرتي أنه كان يسكن في بيت قريب من المشهد الحسيني في القاهرة وتوفي فيه سنة ١١٦٢ هـ/ ١٧٤٨م .[٥٠]

ويبدو أن الشيخ البكري كان مهتماً منذ أن حصل على البيعة سنة ١١٢٠ه/ ١٧٠٨م من شيخه عبد اللطيف الحلبي بزيارة الأماكن المقدسة والمقامات على الرغم من معارضة

---

[٤٤] ابن خير الدين والذى تولى الافتاء في القدس. ابو الفضل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ج١ ص٢٠١

[٤٥] نجل الشيخ قراباش الولي، تربى عند والده وذاع صيته، واشتهر بالوعظ والإرشاد حتى رغب السلطان محمد الرابع في ملاقاته، فأقام الشيخ في أدرنه حيث كان السلطان يقيم هناك إلى أن مات السلطان سنة ١١٠٤ هـ. ثم انتقل الشيخ إلى اسطنبول وكان يعظ في (يكي جامع) ويرشد السالكين، وكان واسع العلم محدثاً واقفاً على العلوم العربية، شاعراً وكان له . كما يقول الجبرتي . نحو أربعمائة وأربعين خليفة. وله من المؤلفات (شرح الفصوص) و(ديوان شعر). توفي في جمادى الثانية سنة ١١١٤ هـ بإسطنبول ودفن في تكية نصوحي في (طوغا نجيلر) في أسكدار، قدس الله سره، وترجمته في السجل العثماني وتراجم المؤلفين العثمانيين. عبد الباقي مفتاح : أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٩م ص٢١

[٤٦] هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي، والجراحي نسبة إلى أبو عبيدة بن الجراح أحد كبار الصحابة ومن العشرة المبشرون بالجنة، الشافعي المذهب، العجلوني المولد الدمشقي المنشأ والوفاة، كان عالما بارعا صالحا مفيدا، ومحدثا كبيرا، له يد في العلوم عامه لا سيما الحديث .

الإمام إسماعيل العجلوني(1087-1162) :كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس بتصحيح محمد عبد العزيز الخالدي، تحقيق يوسف الحاج أحمد ،المطبعة العالمية ، دمشق ،1421 هـ

[٤٧] من علماء دمشق ابو الفضل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ج١ ص٢٠١.

[٤٨] يوجد في مكتبة عارف حكمت في المملكة العربية السعودية مخطوط بعنوان: (مجموعة رحلات البكري) عدد صفحاته: (٢١١)، ورقم حفظه في المكتبة ٩٠٠/١٩٢، ٣٨٤٠ وقد كتب الناسخ أسماء الرحلات.

[٤٩] تقع بجوار الحرم الشريف، وتحديداً على يمين الداخل إليه من باب الناظر (باب المجلس أو باب علاء الدين البصيري أو باب ميكائيلي). وهي تقابل المدرسة المنجكية وتجاور الرباط المنصوري. وهي من أقدم مباني القدس إلا ان الأضواء غير مسلطة عليها. دليل مدينة القدس (منارات مقدسية).

[٥٠] الجبرتي، عجائب الآثار، ١: ٢٤٧.

العديد من فقهاء السنة، وبخاصة الحنابلة، وعلى رأسهم ابن تيمية[٥١] ونفر من تلاميذه الذين رأوا أن زيارة المقامات لا تخلو من البدع والمنكرات، فمن الأماكن التي زارها في شبابه سنة ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م - وقبل أن يشرع في مهمة نشر طريقته الصوفية - قرية برزة- في غوطة دمشق التي يوجد فيها مقام منسوب لسيدنا إبراهيم عليه السلام المولود فيها حسب بعض الروايات، وسجل تفاصيل رحلته في رسالة قصيرة أسماها: برء الأسقام في زيارة برزة والشام .[٥٢]

وتوجه الشيخ في العام نفسه ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م ، إلى مدينة بيت المقدس ويبدو أن الهدف الرئيس من زيارته كان نشر الطريقة الخلوتية في واحدة من أبرز الحواضر في العالم الإسلامي وهي القدس الشريف بخاصة ، وفلسطين بعامة ، وقد استغرقت رحلته سبعة أشهر تزوج خلالها من إحدى الأسر المقدسية، وألف في فترة تواجده في القدس مجموعة أوراد لاتباعه ومريديه أطلق عليها اسم: "الفتح القدسي والكشف الأنسي " وهو ما زال مخطوطاً، وسجل أحداث الرحلة في رسالة سمَّاها: " الخمرة الحسية في الرحلة القدسية" وقد جاء في مقدمتها: «***طال ما كانت تتوجه بي الهمة، وتقلقني الأشواق بعزمة أثر عزمة إلى زيارة بيت القدس الشريف الذي مناره عال غالٍ منيف، لا زال محفوفاً بألطاف اللطيف، فكان ذلك في يوم الخميس سنة ١١٢٧ه/١٧١٥م. وفيه شرعت بحول طول المعين في رحلة تجمع ما يمنحه المتين، وسميتها بالخمرة الحسية في الرحلة القدسية***»[٥٣]

---

[٥١] المشهور باسم ابن تيمية .هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة .وهو أحد أبرز العلماء المسلمين خلال النصف الثاني من القرن السابع والثلث الأول من القرن الثامن الهجري .نشأ ابن تيمية حنبلي المذهب فأخذ الفقه الحنبلي وأصولهعن أبيه وجده، كما كان من الأئمة المجتهدين في المذهب، فقد كان يفتي في العديد من المسائل على خلاف معتمد الحنابلة لما يراه موافقًا للدليل من الكتاب والسُنة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف. بكر أبو زيد (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.(الجامع لسيرة شيخ الإسلام بن تيمية .الرياض-السعودية: دار عالم الفوائد. ص ف.

[٥٢] انظر، مصطفى البكري الصديقي المقدسي، برء الأسقام في زيارة برزة والمقام، دراسة وتحقيق، د. غالب عنابسة، ص: ١٨، وانظر محمد الربعي، فضائل الشام ودمشق، ص: ٦١- ٦٧. حيث ذكر فيهما أن مقام إبراهيم عليه السلام في قرية برزة من الأمكنة التي يستجاب فيها الدعاء إضافة إلى مغارة الأربعين وجامع بني أمية. وجدير بالذكر أن البكري حَرَص في العديد من مؤلفاته ورسائله على الرد على منكري زيارة المقامات وقبور الأولياء، ومن ذلك قوله في إحدى رسائله: «وإذا كانت الكرامة بخلق الله تعالى لمن أراد في حياته، فله أن يخلقها له بعد وفاته، وقد ثبتت في حياتهم، فلا انقطاع لها بعد وفاتهم لعدم وجود دليل على انقطاعها، فكانت زيارتهم والتبرك بآثارهم أمرا مندوبا مطلوبا، والتوسل بهم إلى الله في الحوائج لأجل قضائها سبب لنيل كل مرغوب» وقوله في موضع آخر: «فمنكر الزيارة غي محقّ، والمستدل لها بحديث:« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فمتنعت، وقد رد على من كرهها أساطين العلماء وتحارير الفضلاء أبلغ رد، ويشهد للراوين عليه أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي، وقوله: «من حج ولم يزرني فقد جفاني »انظر، البكري الصديقي، برء الأسقام في زيارة برزة والمقام، ص: ١١٢- ١١٣.

[٥٣] البكري الصديقي، الخمرة الحسية في الرحلة القدسية، ص:١.

قام الشيخ بزيارته الثانية سنة ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م، وسجل أحداثها في رسالة عنوانها: "الخطرات الثانية الأنسية للروضة الدانية القدسية"[٥٤] وزار البكري بيت المقدس أكثر من مرة وكان يغتنم فرصة زيارته لها باصطحاب اتباعه المنتسبين للطريقة الخلوتية إلى بعض الأماكن المقدسية حول القدس وفي سائر فلسطين، ومنها علي سبيل المثال: مقام النبي موسى في طريق القدس-أريحا التاريخي، الحرم الإبراهيمي في مدينة خليل الرحمن، مقام النبي العزيز في العيزرية، النبي داود ،مقام النبي شمويل وعلي بن عليل القريب من يافا. ومقام حسن الراعي ؛ أي راعي أغنام "سيدنا موسى عليه السلام " وولده عبد العال قرب مدينة أريحا، حيث سجل رحلته تحت عنوان: «لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال»[٥٥] . وقضى البكري شطراً من حياته في ربوع بيت المقدس، وأقام فيها مدة طويلة حتى عدَّ مؤرخو سيرته القدس بلده في حال إيابه إليه من رحلاته.[٥٦]

وقد أثمرت زيارته للمدينة وإقامته فيها عن انضمام العشرات من أهل القدس الشريف للخلوتية، لعل أبرزهم الحاج علي شعال السلطانية، الحاج محمد نسيبه ،محمد الطواقي ،الشيخ يحيى الدجاني ،علم الدين العلمي، والشيخ محمد بن أحمد الحلبي المكتبي الذي نصبه خليفة له في القدس وأذن له بالمبايعة والتخليف[٥٧]، وقبل ذلك قام بتنصيب الشيخ محمد بن سالم الحفناوي خليفة له في الديار المصرية حيث كان له دور كبير انتشار الخلوتية وازدهارها في مصر في القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر.[٥٨]

---

[٥٤] وهي من الرحلات التي ضمها مجموع رحلاته المخطوطة والمحفوظة في مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة تحت رقم ٣٨٤٠.

[٥٥] البكري الصديقي، الخمرة الحسية في الرحلة القدسية

[٥٦] عمار توفيق : التذوق الأدبي لورد السحر ، مركز الدراسات الاسلامية، بدون تاريخ نشر ص: ١٣.

[٥٧] البكري الصديقي، برء الأسقام في زيارة برزة والمقام، تحقيق د. غالب عنابسة، ص: ٢٨ -٢١

[٥٨] المصدر السابق، ص: ٤٠. والشيخ الحفناوي هو شمس الدين أبو المكارم محمد بن سالم الحفناوي المصري الشافعي الخلوتي، وهو أعظم خلفاء الشيخ مصطفى البكري، وقد ورد اسمه في قائمة مشايخ الطريقة الخلوتية وخلفائها. ولد ببلدة جفنا بالقصر قرب بلبيس سنة ١١٠٠هـ، وبها نشأ، وتلقى العلم على مشايخ عصره مثل: محمد البديري الدمياطي الشهير بابن الميت والشيخ يوسف الملوي وأجازوه بالإفتاء والتدريس. زار القدس والتقى البكري الصديقي، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية في زياره الأولى لمصر، وما لبث أن جعله البكري خليفة له في مصر وأذن له بالمبايعة والتخليف وأخذ العهود على المريدين، وكان الشيخ الحفناوي إمام العلماء العاملين والأولياء العارفين، شهد له معاصروه بالتقدم في العلوم، وكان على مجالسه هيبة ووقار، ولا يسأله أحد لمهابته وجلالة قدره. انظر ترجمته في: المرادي، سلك الدرر، ٤: ٤٩- ٥٠، الجبرتي، عجائب الآثار، ٢: ٣٥٤، مصطفى

مقام النبي موسى

البكري الصديقي، برء الأسقام في زيارة برزة والمقام، ص: ٤٠ (الهامش)، ليلى علي مصري: شجرة النور الزكية في تراجم السادة مشايخ طريقة القاسمي الخلوتية الجامعة، ، باقة الغربية: مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات في أكاديمية القاسمي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص : ١١٢- ١١٨ وقد ورد في هذا المرجع ص : ١٣ نص العهد الذي أرسله البكري إلى الحفناوي ليأخذه على المريدين والمنضوين تحت لواء هذه الطريقة.

الحرم الإبراهيمي

طريق الشيخ الى الله سبحانه وتعالى:

ذكر الصوفية في كتبهم أن هناك نوعين من الثمرات لطالبي سلوك الطريق إلى الله تعالى؛ النوع الأول : هو الذي أسموه بالكرامات المعجلة؛ أي الأشياء التي تحدث للسالك أثناء سيره إلى الله تعالى، والنوع الثاني وهو المشاهدات والفتوحات.

ذكر ابن عجيبة[٥٩]: "السالك يرى الخلق ويستدل بهم على الحق، والمجذوب يرى الخلق بعين الجمع لا يحجبه خلق عن حق ولا حق عن خلق، فكانت طريقة القوم تسمى الذي دخل فيها سالكاً أي سائراً إلى الله"[٦٠].

[٥٩] أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثاني عشر الهجري في المغرب. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: الأعلام،دار العلم للملاين، ط٢،٢٠٠٢م. ج١، ص١٤٥.

[٦٠] أحمد بن محمد بن عجيبة :الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ، بهامش إيقاظ الهمم، ط١. دار الفكر بيروت، بدون تاريخ، ص ٤٣٦.

وقد انقسمت إلى الثمرات المعجلة ومنها:

١. أن يأنس العبد بالخلوة والوحدة، ويألف الأماكن الخالية التي تهدو فيها الأصوات والحركات.
٢. الأنس والمحبة الشديدة للصلاة؛ لأنها تسد أبواب الحواس وتجمع قواها في القلب.
٣. أن يفتح له بحلاوة العبادة في الصلاة والركوع والسجود فيحب أن يبقى يومه أجمع لا يشغله عن العبادة شاغل.
٤. أن يفتح له بحلاوة استماع كلام الله عز وجل وترديده على الأسماع والقلوب فيرزق في التلاوة بوارق الشعور بالمتكلم سبحانه وبفهم مراده من كلامه.
٥. أن يفتح له بحلاوة الذكر، فيرزق الفناء والاستغراق فيه حتى يغيب فيه ويدخل إلى عالم الغيب.[٦١]

أما النوع الثاني من ثمرات السلوك إلى الله تعالى؛ فقد أسموه "المشاهدات" ، ويقصد بها أن يكشف الله تعالى عن عبده السالك في طريقه "حجاب الوجود، ويطلع صبح التوحيد وقمره، وتبزغ شموس المعرفة، وينمحي ليل الوجود بطلوع فجر التوحيد؛ فيذهب في ذلك من لم يكن، ويبقى من لم يزل".[٦٢]

السلوك:

فمخالفة النفس بآلية المجاهدات كانت من الشروط الأولية للوصول إلى المحبة، لأنها آليات تلزم النفس بما هو أحق، وتبعدها عن حب الدنيا والخلق وملاذهما وشهواتهما، فلا مؤنس له إلى ذكر الله ولا ملجأ له إلا مناجاته، وهو مع هذا كله يشعر بالوحدة والغربة في الدنيا، لأنه يرى إلى موطن آخر يحن إليه حنو الرضيع إلى صدر أمه.

بين أهليه غريباً نازح وعلى الأوطان لم يعطفه لي[٦٣]

---

[٦١] عماد الدين الواسطي : قواعد في السلوك إلى الله تعالى والسير على المنهاج ، اعتنى بها: محمد بن عبد الله أحمد أبو الفضل القونوي : دار البشائر الإسلامية، ٢٠١٤م، القسم الثاني لوحة ١٩٠ ص ب

[٦٢] عماد الدين الواسطي : قواعد في السلوك إلى الله تعالى والسير على المنهاج ، القسم الأول – لوحة ٣١ ص أ.

[٦٣] ديوان ابن الفارض: تحقيق .درويش الجويدي، المكتبة العصرية ، ٢٠٠٨م ص١٩١.

فهذه النفس لابد أن تختار من تصطفيه لتموت من أجله، وقد يتجرد مبتعداً من كل شيء يجعله يتصل بأثر الإنسان، لأنه يريد الخلوص لله وحده لا يشرك معه شيئاً من حطام الدنيا وأهوائها وشهواتها، لأن الموت في الله طريق إلى الاستعلاء والخلاص من أدران الدنيا، لكنه يبقى يصارع نوازع الدنيا لأنها دائماً متشبثة بعوائدها مما تجعل هذه الرحلة شاقة متعبة. ولكن "ابن الفارض" وهو يتقلب من طريق إلى طريق قاصداً السبيل إلى محبوبه محاولاً إزاحة هذه الحجب، فنراه أيضاً يستعين بسبيل آخر هو طريق – المحبة – فلنتأمل هذا الاتجاه.[٦٤]

المحبة:

يقول "ابن عجيبة" في تعريفه في الفتوحات الإلهية: "أولها جنون وأوسطها فنون وآخرها سكون" واصل هذه المحبة هو تفسير قول الله تعالى في كتابه العزيز: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (سورة المائدة: الآية ٥٤.) وقد أشار أيضاً إلى حديث قدسي جاء فيه أن الله خلق الخلق ليعرفوه، وهو في طيات بعض مؤلفات الصوفية يقول فيه رب العزة والجلال: "كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني"[٦٥] ولهذا كان هؤلاء أوفياء في حبهم، لأنهم يرون أن المحبة هي العلاقة الوطيدة التي إذا سلكها المريد تقربه إلى (المحبوب) الله، وأن المحبة هي الصفة الحقيقية التي أخرج من أجلها الإنسان إلى الوجود، وأنه بها وحد الله، ولذلك قالوا أن الله أخذ بزمام قلب المرء فلا يلتفت إلى غير معبوده ومحبوبه فمتى قل هذا الحب نجد الالتفات إلى غير الله. ومتى قوي هذا الحب ابتعد عن الالتفات إلى غيره[٦٦].

[٦٤] علي لخضاري: المفاتيح الرمزية عند ابن الفارض: الطريق إلى الله، فكر وإبداع ،القاهرة مصر ، ج٧٠، ٢٠١٢م. ص٥٤.

[٦٥] عاطف جودة نصر: شعر عمر بن الفارض؛ دراسة في فن الشعر ، دار الاندلس للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م. ص٢٥٠، ٢٥١.

[٦٦] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: الرسالة القشيري تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف ، دار المعارف، القاهرة مصر ٢٠١٠م ص١٨١

كما أشار إلى ذلك "ابن عجيبة" في إيقاظ الهمم[٦٧]، والمحبة من ثمرات البسط لأنها تقوم على مشاهدة الجمال الأزلي فمتى شاهد الصوفي ذلك غشته الأنوار وتاه في حضرته بقول "ابن مشيش"في تعريفه في هذا القصد: "المحبة أخذ القلب وخطفه عند كشف نور الجمال وقدس الجلال[٦٨] فلهذا فلا محبة مع الله، لأنه جميل يحب الجمال، ولا محبة مع مصلحة أو غرض دنيوي زائل، فلابد أن يكون هذا الحب خالصاً صافياً لا شائبة فيه. ولذلك فإنهم يرون انمحاء ما سوى المحبوب من القلب حتى لا تخالطه نوازع أخرى قد تشترك في أمر المحبة وبالتالي لا محبة ترضى عند الصوفي الحق. حتى قالوا أن المحبة هي أساس الاتحاد، وزادوا حتى قالوا: "لا ينبغي للصوفي أن تشغله المحبة عن شهود المحبوب بحيث يفني علم المحبة فلا يدري بتلك الحالة، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محباً من غير محبة"[٦٩] أي أنك لا تنظر إلى محبوبك تحاول مشاهدته فهذا قد ينقص علم المحبة، ولكن لابد أن ننظر إليه بعين الرضى القلبية الواسعة التي تحيط بكمال الأشياء وجمالها خاصة في يتعلق بالله عز وجل.

الإرادة:

لكي يترقى المريد في عالم الإرادة، لا بد له في بداية بزوغ صبح إرادته من إحكام أمور أربعة هي:[٧٠]

١. اعتقاد صحيح حاصل عن برهان صريح؛ ليكون عالما بوجوب وجود ذات الله وصفاته، وحدوث ما سواه. ومن ثم يصح منه: القصد والنية، والعبادة والسير؛ لأن قصد من لا يعرف، وحب من لا يعرف من المحالات القطعية.

---

[٦٧] أحمد بن محمد بن عجيبة : الفتوحات الإلهية ص ٤٣٦.

[٦٨] نفس المرجع: ص ٣٣٩.

[٦٩] أبو نصر السراج الطوسي : اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ورجاله، ، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ص٥٥.

[٧٠] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر بن محمد بن طاهر بن أبي الفوارس، الفارسي الشيرازي :مخطوط كتاب الإعانة على دفع الإعانة، معهد المخطوطات العربية القاهرة بدون تاريخ نشر ق ٢٢ب- ٢٤ب.

٢. بعد أن يتحقق المريد بأنه لا موجود إلا الله على الحقيقة، وأنه القديم وكل ما سواه حادث، مع إثبات صفاته: القدرة، والعلم، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والبقاء. يتعين عليه أن يحمل معاني هذه الصفات على الوجه الذي يوجب تنزيه ذات الله وتقديسه عن سمات الحدثان.

٣. ثم بعد تحقيقه قواعد الاعتقاد يجب عليه تجديد عقد التوحيد بينه وبين معبوده، وأن يصحح قصد قلبه بالذهاب إليه عما سواه؛ رجاء الوصول إلى المحصول من القربة المعنوية بين الرب وبين مركز حقيقة القلب الذي هو درج المعرفة المؤدية به إلى المصافات معه. وذلك كله لا يتأتى للمريد إلا باستيفاء عشرة أشياء، هي:

أ. القيام على المأمورات ومهاجرة المخالفات.

ب. ترك كل شاغل يشغله عنه، وكل قاطع يقطعه عن واهب عقله ورشده.

ج. وأن يذر ظاهر الإثم وباطنه، ولا يهم بزلة، ولا يلم بمعصية.

د. وأن يقوم بالواجبات والمسنونات حق القيام.

ذ. وأن يحفظ القلب عن غير الرب حتى لا يسكن فيه غيره.

ه. وأن يراعي الوقت والنعت عن طعنة أسنة المقت.

و. وأن يكلو القلب بالله لله مع الله.

ز. وأن يعالج الأخلاق الظاهرة والباطنة إلى حين تبديل الوجود بالوجود.

ح. وأن يسقط نظره عن: الاختيار، والأفكار، والأقدار، والأخطار، والأغيار، والأعواض، والأعراض، والأغراض.

ط. وأن يذهب عما سوى الله بالله، فيرى ما سوى الله بالله، وينظر إلى الله بالله.

٤. ثم بعد تحققه بجميع ما سبق، جاز له أن يتعلم مبادئ معرفة الله بالله، ومعرفة ما سوى الله بالله، وذلك أوان بقاء القلب بالله، كما قيل لعارف: ما العلم الباطن؟ فقال: المعرفة بالله. فقيل له: ما المعرفة بالله؟ قال: حياة القلب مع الله.[٧١]

[٧١] الفارسي الشيرازي :كتاب الإعانة، ق ١٢٥أ.

أما الإرادة؛ فمعناها في "عال الحجة": من قامت به الإرادة، كما نقول: العالم من قام به العلم، والقادر من قامت به القدرة؛ فكذلك المريد هو: من قامت به الإرادة. وفي "عالم المحجة": المريد هو من لا إرادة له بحال؛ لأنه لو قدر للمريد إرادة مع إرادة المراد لما صح تصور الاقتداء به؛ لتساوي الإرادتين والمريدين. وإذا تحقق فناء المريد عن إرادته صح عند ذلك أن يكون مريدا بإرادة المراد منه .[٧٢]

وعلى الرغم من كون الصديقي متصوفاً، وما يمتاز به المتصوفون من تقشف وزهد في الدنيا، فإنه كان يلبس الملابس الفاخرة، فجاءه ذات مرة رجل يدعى محمد أبو فردة، ويظهر أنه كان من الزاهدين، وكان يلبس " فروة ذات ثمن وأثواباً حسنة، فقال له: " أهكذا كان لباس صاحب الأخلاق المّرْضيَّة والأفعال المستحسَنة؟" فتمكن من أن يتخلص من السؤال قائلاً: " اللباس الخيش غير زاهد القلب، ولابس الحرير متصفاً بذلك.. ليس التصوف لبس الصوف والخَلَقْ، بل التصوف حسن السمعة والخُلُق[٧٣]، وقد عبر عن ذلك بعدد من الأبيات الشعرية قائلاً:

فَرُبَّ لَابِسَ دِيباجٍ قد أَشْغَلَه ... حُبَّ الذي خَلقَ الإنسانَ من عَلَقِ

وآخرُ لا بسٌ للخَيْشِ مُرْتَدِياً ... وقد غَدا بحظوظِ النَّفسِ ذا عَلَقِ

لأَنَّ ها ذاك لم يَحْجبْه مَلْبسُهُ ... وذا مع الزَّيِّ مَخْمورٌ ولم يفِقْ[٧٤]

كان هذا من ملامح شخصية الشيخ البكري من حيث مولده ونشأته وثقافته ورحلاته وشعره ومؤلفاته .

ومع أن الشيخ البكري كان يحظى في زمنه بشهرة عريضة، فإنه – للأسف - لم يحظ حتى الآن بما يستحقه من دراسات تكشف عن ملامح شخصيته، وتعرف بنتاجه العلمي،

---

[٧٢] الفارسي الشيرازي :كتاب الإعانة، ق ٢٨ب- ٢٩أ.

[٧٣] الشيخ الخلوتى الصديقي: الخمرة الحسية: الورقة ٣٠.

[٧٤] محمد الحمزاوي: تحقيق الخمرة الحسية في الرحلة القدسية، مجلة كلية الآداب، جامعة القدس، ٢٠٠٧م.

ودوره المؤثر في الحياة الدينية والاجتماعية والفكرية في الفترة العثمانية، وهي فترة يكتنف الغموض كثيراً من جوانبها، وأوجه الحياة فيها؛ لأن العديد من المصادر المهمة التي تناولتها ما زال مخبوء ينتظر من يكشف النقاب عنه ويعالجه تحقيقاً ودراسة.

الخاتمة

- استغل البكري أثناء رحلاته المختلفة الأماكن والمقامات المقدسة، كنهج وكشرعية لزيارتها رغم معارضتها رغم معارضة أوساط سياسية دينية فى القرن الثامن عشر ، لمثل هذه الزيارات نخص بالذكر أتباع حركة قاضى زاده(١٠٤٤/١٦٣٤)فى اسطنبول، الذين رفضوا مثل هذا النهج فى سنوات من القرن السابع عشر وكذلك من يتبع التيار الحنبلي الذين حاربوا هذه الظاهرة بدءا من الفترة المملوكية ، وقد ظهر هذا الجانب من خلال مؤلفات ابن تيمية المختلفة.
- ومن هذه الدراسة اتضح منهج الخلوتية التجديدية، الذى يوصل الصوفي إلى معرفة الله. وبهذا يمكن القول أن الطريقة الخلوتية انتشرت بانتشار المبادئ الواقعية لدعاتها وقد برزت هذه الواقعية عندهم في الإطار الواسع للتصوف وفى آراء الشيخ البكري التي جاءت من أجل الإصلاح الفكري وعبرت عن واقع المجتمع الإسلامي فى عصره.
- ترك الشيخ الخلوتى كثيراً من المؤلفات التي شملت التفسير والحديث والفقه والنحو والطب والكيماء، لكن أغلبها كان فى التصوف.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

المصادر المخطوطات:

١. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر بن محمد بن طاهر بن أبي الفوارس، الفارسي الشيرازي :مخطوط كتاب الإعانة على دفع الإعانة، معهد المخطوطات العربية القاهرة بدون تاريخ نشر.

٢. البكري الصديقي الدمشقي الخلوتي: مخطوط برء الأسقام في زيارة برزة والمقام، دراسة وتحقيق. .غالب عنابسة، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٩م.

٣. الصديقي: محيي الدين أبو محمد مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري (ت ١١٦٢ه/ ١٧٤٩م). الخمرة الحسية في الرحلة القدسية، مخطوطة المدينة المنورة، مكتبة عارف حكمت، رقم (٣٨٤٠)، ومنها نسخة مصورة محفوظة في مكتبة كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة القدس ، رقم ٥٦٣.

٤. ديوان ابن الفارض: تحقيق : درويش الجويدي، المكتبة العصرية ،٢٠٠٨م

٥. عماد الدين الواسطي : قواعد في السلوك إلى الله تعالى والسير على المنهاج ، اعتنى بها: محمد بن عبد الله أحمد أبو الفضل القونوي، دار البشائر الإسلامية، ٢٠١٤م.

٦. محمد كمال الدين بن مصطفى البكري: إتحاف الصديق بخلاصة آل الصديق مخطوطة دار الكتب المصرية رقم(١٧٨٨/ ١٨٣٣).

المصادر

١. ابن كنان، محمد بن عيسى بن محمود: المواكب الاسلامية في الممالك والمحاسن الشامية منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.

٢. أبو نصر السراج الطوسي : اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ورجاله، ، تحقيق كامل مصطفى الهنداوي ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.

٣. أحمد بن محمد بن عجيبة :الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ، بهامش إيقاظ الهمم، ط١. دار الفكر بيروت، بدون تاريخ.

٤. الحسيني، حسن عبد اللطيف: تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق سلامة النعيمات ، عمان: ١٩٨٥م.

٥. الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية ، مطبعة السعادة، القاهرة، ، ١٩٧٢) .
٦. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس فهارس الأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق د .إحسان عباس دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، ط١، ١٣٧٩هـ.
٨. المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، بيروت: دار ابن حزم والبشائر، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
٩. محمد الحزماوي: "تحقيق الخمرة الحسية في الرحلة القدسية"، مجلة كلية الآداب، جامعة القدس، ٢٠٠٧م.
١٠. يوسف النبهاني: جامع كرامات الأولياء، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٢م.

المراجع العربية:

١. عاطف جودة نصر: شعر عمر بن الفارض؛ دراسة في فن الشعر ، دار الاندلس للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.
٢. عبد الجليل عبد المهدي: المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، مكتبة الأقصى، عمان ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٣. عبد المنعم الحفني: الموسوعة الصوفية، القاهرة ،٢٠٠٣م.
٤. عمار توفيق : التذوق الأدبي لورد السحر، مركز الدراسات الاسلامية، بدون تاريخ نشر.
٥. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بغداد،١٩٦١م .
٦. علي لخضاري: المفاتيح الرمزية عند ابن الفارض : الطريق إلى الله، فكر وإبداع ،القاهرة ،مصر ، ج٧٠، ٢٠١٢م.
٧. ليلى علي مصري: شجرة النور الزكية في تراجم السادة مشايخ طريقة القاسمي الخلوتية الجامعة، باقة الغربية: مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات في أكاديمية القاسمي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

المراجع المترجمة الى العربية :

١. كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، المحقق: عبد الحليم النجار – رمضان عبد التواب، دار المعارف، ١٩٧٧م.
٢. م.ت.هوتسما – ت.و.أرنولد – ر.باسيت – ر.هارتمان: موجزدائرة المعارف الاسلامية، المترجم: إبراهيم زكي خورشيد – أحمد الشنتناوي – عبد الحميد يونس – حسن حبشي – عبد الرحمن الشيخ – محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الامارات، ١٩٩٨م.

المراجع الأجنبية:

1. Rafeq ، A.K: The Province of Damascus 1723- 1783 ، Beirut ، 1966 ،p 97.